الخـوف في النص السومري (جلـجامش وأرض الأحـــياء)

م.د. احمد بشار جمعه
جامعة واسط كلية التربية – قسم التاريخ

الملخص

يعد الخوف أحد الصفات الكامنة في الذات الإنسانية التي تتأثر بالمحيط الخارجي سواء كانت طبيعية أو بشرية وعلى وفقها يتحدد مستوى ونوع الخوف، تهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على الصور التي ظهر بها الخوف عند الإنسان في المجتمع العراقي القديم من خلال الاعتماد على أحدى نصوص الادب السومري متمثلة بـ (ملحمة جلجامش وأرض الأحياء) التي تعد أحدى قصص البطل السومري جلجامش حاكم مدينة الوركاء التي بينت أحدى نقاط ضعف الإنسان من خلال تأثره بما حوله. وقد وضحت هذه الملحمة مجموعة من الأوجه التي ظهر بها الخوف الإنساني منها الخوف من الموت وكذلك الخوف من الآلهة وايضاً الخوف على الإنسان سواء كان خوف المجتمع على الحاكم وكذلك خوف الحاكم على رعيته ومن صور الخوف الاخرى التي بينتها الملحمة الخوف من المخلوقات الأخرى. ولم تقف الملحمة عند هذا الحد من اعطاء صور الخوف بل وضحت السبل التي اتبعت من قبل جلجامش في مجابهة ذلك الخوف والقضاء عليه.

Abstract

Fear is one of the inherent qualities in the human self that is affected by the external environment, whether natural or human and according to the level and type of fear, this study aims to shed light on the images that showed fear in man in ancient Iraqi society by relying on one of the texts of Sumerian literature The epic of Gilgamesh and the Land of the Living is one of the

ruler as well as the fear of the ruler for his flock and other forms of fear shown by the fear of other creatures. The epic did not stop at this point in giving pictures of fear, but clarified the ways followed by Gilgamesh in confronting and eliminating that fear.

stories of the Sumerian hero Gilgamesh, the ruler of the city of Warka, which showed one of the weaknesses of man through his influence around him. This epic illustrated a number of aspects of human fear, including the fear of death as well as the fear of the gods, as well as the fear of man, whether the fear of society to the

المقدمة

كان للحيزين الكوني والأرضي أثراً بارزاً في نشأة وبلورة الأفكار الأولى لدى الإنسان منذ عصور ما قبل التاريخ، مما ولد حالة من الخوف والرهبة لما يدور حوله فالخوف دفع الإنسان إلى البحث لإيجاد ملاذ آمن يقي به نفسه من مخاطر الطبيعة وأهوالها، لذالك أتجه لعبادة القوى المحركة للظواهر الطبيعة خير مأمن لحياته فالإنسان كائن ضعيف قياساً بما يحيط به، وهو أمر أوضحته النصوص الأدبية تصريحاً أو تلميحاً نسجها الكاتب العراقي القديم بصورة متسلسلة عكست الافكار والمضامين للمجتمع.

لذا كان الخوف أحد أهم الهواجس التي أحسها الإنسان بوصفه نتاجاً لمجموعة من المؤثرات الخارجية أثرت في فكره ونظرته لما حوله، وهذا الأمر نلتمسه في ملحمة **(جلجامش وأرض الاحياء)**[١] التي وضحت مدى عمق الأثر النفسي الذي أثر في شخصية جلجامش بالصورة التي حركت هواجسه الداخلية نتيجة لتعرضه لمؤثر خارجي متمثلاً بالموت، من هنا جاء اختيار الموضع ليسلط الضوء على أحدى المشاكل التي واجهت الإنسان العراقي القديم وأخذت حيزاً واسعاً من فكره. وايضاً من أسباب اختيار موضوع الدراسة تسليط الضوء على نتاج الادب السومري وتوضيح ما يتضمنه من افكار ورؤى شغلت الفكر الإنساني آنذاك.

تعالج الدراسة أحدى أهم المشاكل التي تشغل الفكر الإنساني في حياته متمثلاً بالخوف الذي يظهر بصور ومستويات مختلفه.

إن خوف الإنسان ليس وليد الصدفه بل هو كامن في ذات الإنسان ويحتاج إلى مؤثر خارجي لتحفيزه.

اعتمدت الدراسة على المنهج التحليلي في عرض محاور البحث، التي تضمنت مجموعة من المحاور جاء في أولها الخوف من الموت وهو الفكرة الرئيسة التي نسجت من أجلها الملحمة، أما المحور الثاني فركز على الخوف من الآلهة، أما المحور الثالث فتناول الخوف على الإنسان تضمن مجموعة من التقسيمات الثانوية منها خوف المجتمع على الحاكم وايضاً خوف الحاكم على رعيته، أما المحور الرابع فجاء بعنوان الخوف من المخلوقات الأخرى. وانتهينا الى خاتمة تضمنت جملة من الاستنتاجات توصلنا اليها أثناء كتابة البحث، أعتمد البحث على مجموعة من المصادر والمراجع العربية والانكليزية كانت رافداً للمعلومات التي أوردناها في ثنايا البحث كان من أهمها كتب عالم السومريات صموئيل نوح كريمر الذي اعتمد في ترجمة للملحمة على النص السومري الأصلي ومن مؤلفاته كتاب **(من ألواح سومر)** ترجمة طه باقر لسنة ١٩٥٨ وكتاب **(السومريون أحوالهم – عاداتهم – تقاليدهم)** ترجمة فيصل الوائلي لسنة ١٩٧٣.

الخوف لغةً:

وردت كلمة الخوف في اللغة العراقية القديمة بشقيها السومري والأكدي[٢]، بمجموعة صيغ والفاظ اسمية وفعلية فقد جاءت كلمة الخوف كأسم بالصيغة السومرية بالمقطع **(ŠÁ.MUD)**، التي يقابلها اللفظ الاكدي **(gilittu)** ويدل على الرعب[٣]، فضلاً عن اللفظ الاكدي **(piritt)** الذي يعطي المعنى الصريح لكلمة الخوف[٤]، كما وردت كلمة الخوف بالصيغة الفعلية الاكدية **(adãru)** بمعنى القلق، ووردت ايضاً بلفظة **(adirtu)** ومعناها الخشية[٥]، وجاءت كصفة باللفظ الاكدي **(ad□riš)**[٦]، بمعنى خوفاً، كما وردت بمجموعة من الألفاظ الاكدية بمرادفات ودلالات لغوية ينطوي خلفها معنى الخوف مثل **(galãtu)** لتدل على الشخص الذي يصاب بالهلع والفزع وهي اشد مراحل الخوف[٧]، كما جاءت كلمة الخوف باللفظ الاكدي **(hurbãšu)** لتدل على الارتعاش من الخوف[٨].

أما كلمة الخوف في معاجم اللغة العربية الحديثة فجاءت من جذر الفعل الثلاثي (خاف)، وتعني يخاف خوفا وخفية ومخافة فهو خائف، وخَف بفتح الخاء والخيفة الخوف والاخافة التخويف، يقال وجع مخيف أي يخيف من رآه وطريق مخوف لأنه لا يخيف وإنما يخيف فيه قاطع الطريق وتخوفت عليه الشيء أي خفت وتخوفه أي تنقصه[٩].

الخوف اصطلاحاً:

عرّف علماء النفس الخوف على أنه "**وجدان غريزة الهرب باعتباره انفعالاً أولياً نتيجة لمثير خطر**"(١٠). ويميل علماء التحليل النفسي إلى استعمال مصطلح (حَصر) بدلاً من (خوف) إذ يشير الأول إلى الخوف الناجم عن خطر خارجي موجود على أرض الواقع كالخوف من المرض مثلاً والذي ينطوي خلفه الخوف والقلق(١١). وفي الحياة اليومية نجد هناك صعوبة في التفريق بين مصطلحي الخوف والقلق، فالقلق يشير إلى انفعال واضطراب نفسي يصيب الانسان عند شعوره بوجود خطر مسبق وتوتر وحزن ويكون حجم الاضطراب أكبر من شدة الخطر المحدق؛ لذا يلجأ المختصون من علماء النفس إلى استعمال كلا المصطلحين بالتبادل عند التعبير عن انفعال الاشخاص(١٢). ويمكن اعطاء صور أخرى يظهر وينطوي خلفها التعبير عن الخوف مثل (**الرهبة، الحذر، الخشية، الارتعاش، الرعب، الأضطراب، الفزع، التوتر، الهلع، الذعر**).

المحور الأول: الخوف من الموت.

تمحورت الفكرة الرئيسة التي أوردتها احداث الملحمة حول خوف الانسان من الموت وهو ما نلتمسه من ردة الفعل والاضطراب النفسي اللذان اصابا جلجامش نتيجة لما شاهده من منظر مؤلم؛ إذ رأى جثث الموتى تطفو فوق مياه النهر مما ولد في نفسه هاجس الخوف مصحوباً بردة فعل قوية غيرت مجرى حياته ونظرته للواقع؛ ومن ثم فإن لحظة التأمل التي عاشها جلجامش دفعته إلى أن يقف صامتاً مذهولاً من هول الحدث مطلقاً عنان فكره لما ينتظره من نهاية محتومة تختتم بها مسيرة حياته التي قضاها كسليل للآلهة ونائباً عنها بوصفه حاكماً لدويلة مدينة أوروك. كما مبين في النص الآتي:

"...، **يموت الرجل في مدينتي وهو محزون القلب،**

ويهلك الرجل، وقلبه مثقل بالهموم(١٣)،

وهأنذا أنظر من فوق السور(١٤)،

فأشاهد الأجسام الميتة عائمة في النهر،

وأنا سيحل بي المصير نفسه،

والرجل مهما طال لا يستطيع أن يدرك السماء.

والرجل مهما عظم لا يستطيع أن يغطي الأرض"(١٥).

نلتمس من النص اعلاه أن حالة التحول الطارئ التي أصابت جلجامش لم تأتي اعتباطاً وإنما جاءت لإدراكه الحقيقة الحتمية في فناء الإنسان، لذا نجده يروي هول الحدث وبشاعة المنظر؛ إذ يعد دليلاً واضحاً على حالة الرهبة والاضطراب النفسي اللتان تركهما الخوف من الموت في نفس

جلجامش؛ إذ ان النهاية المؤلمة التي شاهدها لم ترق له.

إن رؤية جلجامش جثث الموتى جعلته يصل إلى المعرفة المطلقة لنهاية الإنسان بالموت، فعمل جاهداً إلى الوصول لمعرفة نقيض الموت وبالفعل وجد أن القيام بعمل مميز يخلد أسمه عبر العصور يصبح عن طريقه رمزاً يتغنى به طول الدهر، وبهذا كانت المعرفة التي وصل إليها جلجامش أسمى الدرجات التي فاقت الشجاعة والسلطة والقوة(١٦).

إن الطبيعة البشرية والسلوك الإنساني قابلتان للتغير نتيجة تأثرها بالمؤثرات الخارجية المحيطة(١٧)؛ إذ وقف جلجامش متحيراً أمام مشكلة عامة لا خاصة فهي دائمة ومستمرة الحدوث متمثلة بالموت، وهو على يقين تام من ان الموت سيدركه لا محال، فالآلهة حددت مصير الإنسان منذ بداية خلقهِ؛ وجعلت العمل والشقاء مصيره والفناء خاتمة حياته واستأثرت هي لوحدها بالخلود(١٨). كما بينه النص الآتي:

"**إذ لما خلقت الآلهة البشر قدرت الموت على البشرية واستأثرت هي بالحياة**"(١٩).

وانطلاقاً من تلك الحقيقة المؤلمة المتمثلة بنسيان ذكر الإنسان بمجرد مفارقة روحه لجسده نرى جلجامش يعمل على ايجاد حل لتلك المعادلة القاسية التي فرضت على الإنسان، وبعد البحث وجد جلجامش ان الدخول في تحدي الخوف من الموت افضل طريقة عن طريق مجابهته وذلك بالاتيان بعمل لم يسبقه اليه أحد، لذا قرر جلجامش الذهاب إلى أرض الأحياء(٢٠). كما مبين في النص ادناه.

"**لقد وجه السيد فكره نحو** "**أرض الأحياء**"
السيد "**جلجامش**" **وجه فكره نحو** "**أرض الأحياء**"
فقال لخادمه "**أنكيدو**"(٢١)
"**يا** "**أنكيدو**"، **إن الآجرة والختم لم يجلبا بعد النهاية المقدرة،**
أريد أن أدخل "**الأرض**" **وأريد أن أخلد اسمي،**
في موضعها التي أقيمت فيها الاسماء، أريد أن أقيم اسمي،
وفي موضعها التي لم تقم فيها الأسماء، أريد أن أقيم أسماء الآلهة"(٢٢).

ان النص اعلاه يعكس حالة جلجامش في قلقه المستمر ومدى خوفه من الموت كما يبين سعيه للهرب من تلك الحقيقة المؤلمة التي تنتظره، لذا دخل جلجامش في صراع نفسي؛ وسعى جاهداً لتجاوز ذلك كله عن طريق تخليد اسمه عبر ذاكرة الاجيال(٢٣)، هنا دخل جلجامش في معركة مع الواقع المؤلم؛ إذ ان سلطانه وجبروته سيذهبان في مهب الريح بمجرد موته ليكون في طي النسيان(٢٤). كما بين النص ان أرض الاحياء لم ترقى إلى مستوى التمدن؛ إذ لم

يعرف سكانها شيئاً من الكتابة والتدوين وهذا واضح تماماً من رغبة جلجامش في ان يكون أول من يكتب أسمه في تلك الأرض؛ إذ ان الاقدام على ذلك العمل الذي تعدى حدود الزمان والمكان مثل عملاً بطولياً جديداً غير مألوف في المجتمع[٢٥].

من خلال ما تقدم وضحت الملحمة أن نقيض الخوف من الموت كان متمثلاً في أصرار جلجامش على الخروج من هاجس النظرة الأولى التي أرعبته عندما شاهد جثث الموتى، وهذا الأصرار نابعٌ من شجاعة جلجامش في تحقيق أمله الذي تعلق به من تخليد أسمه وأسماء الآلهة.

المحور الثاني: الخوف من الآلهة.

عكست الملحمة صوره أخرى تمثل بخوف الإنسان من الآلهة التي أوجدت الكون ونظمت شؤونه وحدد مصير الإنسان في دولة الارض[٢٦]. لقد كان جلجامش على يقين تام من ان الاقدار كان لها تصاريفها ومسارها المحدد الذي رسمته الآلهة منذ خلق الإنسان ونظمت مجريات حياته، فهو يقف عاجزاً امامها لما ينتابها من غموض ويجهل ما تخبئه له من مغزى وغايات، سوى انه ادرك حقيقة واحدة مفادها ان الموت كان الحقيقة الوحيدة الواضحة فيها[٢٧].

إن بصيص الأمل الوحيد الذي تعلق به جلجامش لتحقيق هدفه المنشود تمثل في مساندة وتأييد الإله أوتو (Utu) لرحلته[٢٨]؛ إذ أن الحصول على مباركة الإله مثل دافعاً معنوياً ودينياً مكن جلجامش من الخوض قُدُماً في مقصده، لأن الأرض التي قرر جلجامش الذهاب إليها في عهدة الإله أوتو وحمايته، لهذا قرر جلجامش الحصول في البدء على موافقة الإله أوتو قبل دخول أرضه ليحقق غايتين الأولى الأمن على نفسه من غضب الإله أوتو الذي خشاه جلجامش، والثانية الحصول على مباركة الاله اوتو ورضاه كما يبين النص الآتي:

"**فأجابه خادمه أنكيدو**

سيدي ان أنت أزمعت على دخول تلك الارض، فاخبر أوتو،

اخبر أوتو بلغ البطل أوتو

فإن تلك الأرض في عهدة أوتو وحماه

فأمسك جلجامش بيده جدياً أبيض لا شية فيه

وحمل على صدره جدياً أسمر ليقدمه قرباناً

ووضع في يده عصا الفضه

وقال مخاطباً أوتو السماوي

يا أوتو أريد أن أدخل تلك الأرض فكن حليفي

عزمت على دخول أرض الأرز المقطوع

فعساك أن تكون حليفي

فأجابه أوتو السماوي:

حقاً إنك...، ولكن ما شأنك بتلك الأرض[٢٩].

يوضح النص اعلاه طريقة جلجامش في مثوله بين يدي الإله أوتو؛ إذ ان جلجامش عمل إلى تقديم قرابين للإله محافظاً بذلك على قدسية المثول في حضرته، كما يوضح النص حمله عصا من الفضة تمثل صولجان الملكية التي منحته اياه الإلهة لينوب عنها في حكم مدينة الوركاء (Uruk)[٣٠]، ونستشف من مخاطبة جلجامش للإله أوتو انه عزم على دخول غابة الارز محاولاً تخليد اسمه في ذاكرة الاجيال والسبب في ذلك خوفه من شبح الموت الذي لا مفر منه.

نجد إن الإله أوتو يوافق أستعطافاً لطلب جلجامش في مساعدته على دخول تلك الأراضي ولم يكتفي عند هذا الامر بل عمد إلى تأيده بقوة الابطال السبعة الذين كان لهم دوراً في القضاء حارس الغابة هواوا. كما مبين في النص الآتي:

"**فتقبل أوتو دموعه كقربان**
وكرجل رحيم أظهر له الرحمة والشفقة
الابطال السبعة أبناء الأم الواحدة أتى
بهم الى كهوف الجبال"[٣١].

المحور الثالث: الخوف على الإنسان.

اشارت الملحمة إلى ان جلجامش عزم إلى التوجه إلى غابة الارز بعد استكمال عدد الرجال المرافقين له وتجهيزهم بالسلاحة الذي يحتاجونه، وهنا برز دور رجال المدينة وشيوخها؛ إذ دفعهم حبهم لملكهم وقائدهم لتقديم بعض النصائح والارشادات البه بحكم ما اكتسبوه من خبرة وتجربه في مشوار حياتهم[٣٢]. كما نلمسه في النص الآتي:

"**لا تتكل يا جلجامش بالكامل على قوتك**
لتكن عيناك ثابتتان، اتكل على ضربتك
ان من يسير في المقدمة ينقذ الرفيق
ومن يعرف الدرب ينصر صديقه
ليسير انكيدو أمامك"
"**فهو يعرف طريق غابة الارز**
انه واع بالنزال وملم بالقتال
ان انكيدو ينصر الصديق يحفظ الرفيق"[٣٣].

ويمنحنا النص اعلاه ايضاً وجهاً أخر للخوف تمثل بخوف رجال المدينة على جلجامش من هول مخاطر رحلته لغابة الارز لهذا عملوا على رفده بمجموعة من النصائح منها عدم الاستهزاء بالخصم، وان التعاون مع صديقة خير وسيله لتحقيق النصر.

إن مؤازرة مجتمع المدينة لجلجامش كان نابعاً من ان القضية التي انطلق جلجامش لمعالجتها كانت تمثل نظرة الإنسان العراقي القديم إلى قيمة وعظمة الحياة لدية وهذا واضح من حب المجتمع وحرصهم على ملكهم وخوفهم عليه من المصير المجهول الذي ينتظره بين متناقضين الحياة أو الموت[٣٤].

وضحت الملحمة أن جلجامش عمل على الالتزام بالنصائح وطبق الارشادات التي قدمها إليه رجال المدينة ولم يستبد برأيه ولم

يتكل على قوته منفرداً لهذا اصطحب معه خمسين من العزاب من شباب مدينة. كما مبين في النص الآتي:

"**من كان منكم يملك بيتاً فليعد إلى بيته.**
ومن كان له أم فليعد إلى أمه،
ليكن خمسون رجلاً أعزب يفعلون كما أفعل
هم الذين يقفون إلى جانبي.
ومن كان له بيت فقد عاد إلى بيته ومن كانت له أم فقد عاد إلى أمه.
ووقف إلى جانبه خمسون رجلاً أعزب يفعلون كما يفعل"[٣٥].

تأخذ الملحمة منحى اخر في توضيح صورة اخرى تمثل بخوف الحاكم على رعيته؛ إذ أن جلجامش كحاكم لمدينة الوركاء كان مسؤولاً عن أمن وسلامة المجتمع لهذا نجده يصر في أن يكون رفقائه الجنود من العزاب، أن اقدام جلجامش على ذلك الامر كان مقصوداً؛ إذ انه لم يعرف ما ينتظره من مصير مجهول في الطريق الذي سار فيه والجهه التي قصدها، وبهذا يكون مطمئن في أسوء الاحتمالات ان لم يعد ومن معه من رحلتهم لم يصيب الاذى أسر رجاله في حال موتهم. لهذا عمل جلجامش على تجهيز الأسلحه اللازمة لرحلتهم. كما مبين في النص الآتي:

"**ووجه خطاه إلى بيت صانع المعادن؛**
وصاغ السيف – وصنع الفأس المهشم؛
"**قوة السماء**" **العائدة له**"[٣٦].

المحور الرابع: الخوف من المخلوقات الآخرى.

تمثل العائق الذي حال دون تحقيق حلم جلجامش بحارس الغابة، الامر شغل تفكير جلجامش، مما دفع جلجامش بحسب نصوص الملحمة للقسم بحياة أمه نينسون ووالده لوجال على مواجهة حارس الغابة وقتله لتحقيق الهدف الاسمى الذي قرر تحقيقه من رفع اسماء الآلهة واسمه في المكان الذي لم ترفع فيه من قبل. وان تشبث جلجامش بقراره في الذهاب الى غابة الارز يعد دليلاً على سيطرة النظرة الاولى لجثث الموتى عليه فهي بمثابة معركة البقاء او الفناء[٣٧]. كما مبين في النص الآتي:

"**وحياة نينسون أمي التي ولدتني**
من أبي الطاهر لوجال بندا[٣٨]،
حتى اقتل ذلك الرجل، أن كان رجلا، حتى اقتله اذا كان الها،
إلى أن أقضي عليه، أن كان آلهاً؛
فان خطاي التي وجهتها الى تلك الارض لن أعود بها الى المدينة،
فاستعطفه الخادم الأمين، وتضرع له من أجل حياة...،
وأجاب سيده:
"**يا سيدي؛ أنك لم تشاهد ذلك الرجل ولهذا فلست خائفا،**
ولكنني أنا الذي شاهدت ذلك الرجل خائف أشد الخوف،

فان ذلك المحارب له أسنان كأسنان التنين،
ووجهه وجه أسد،
وزئيره مياه الماء الهادرة(٣٩).
من جبينه الذي تلتهم القصب لا ينجو احد،
فيا سيدي أرحل أنت إلى الأرض
أما أنا فسأرحل الى المدينة
وسأحدث أمك عن مجدك"
واجعلها تضحك عالياً من السرور
ثم سأخبرها بموتك،
وأدعها تذرف الدموع
ما من أحد سيموت من أجلي"(٤٠).

وضح النص اعلاه تدخل انكيدو الصديق الوفي والخادم الامين لجلجامش في تقديم النصيحة والمشورة له، مذكراً أياه بماهية الشر الذي سيواجهه في غابة الأرز؛ إذ انه شاهد من قبل ذلك المخلوق المرعب لهذا فان مواجهته ترعبه وينتابه الخوف من ذلك، بعد سماع جلجامش كلام انكيدو وملاحظة أضطرابه النفسي ومدى تأثيرها في تحقيق الهدف المنشود عمل جلجامش على رفع الحالة المعنوية لصديقة مذكراً أياه ان تعاونهما معاً في مواجهة هواوا سيجعلهما ينتصران عليه؛ إذ ان التعاون بين الاصدقاء يؤدي ثماره. كما مبين في النص الآتي:

"**فإن ساعدتني وساعدتك ، فما عسى سيقع لنا،**
هلم نسر قدماً، وسوف نرشقه بالنظرات،
فإذا ما تقدمنا وكان هناك خوف فانزع الخوف عنك،
وان كنت تشعر بالهلع فاقض عليه
هلم بنا نذهب قدماً"(٤١).

وبالفعل تقدم الابطال وحين وصلوا إلى مقر هواوا كان اللقاء الاول بين جلجامش وهواوا وعند رؤيته انتاب جلجامش قلقاً نفسياً نتيجة لهول منظره المرعب فحل في نفسه الخوف لكنه بقي ثابتاً في مكانه ولم يعد أدراجه ووقف وقفه الابطال بمؤازرة شباب مدينته المرافقين له. كما مبين في النص الآتي:

"**بقى هواوا بالقرب من بيته المشيد من الأرز**
وركز نظراته عليه وهي نظرات الموت
وألقى برئسه فجأة عليه ذلك الرأس المغطى بالإثم
وصرخ به صرخه تثير الرعب
فأرتعشت اعصاب جلجامش وقدماه
فقد حل به الخوف
إلا أنه لم يعد أدراجه على الجاده المطروقة"(٤٢).

أشارت الملحمة إلى ان جلجامش وهواوا يدخلان في صراع انتهى بتفوق جلجامش فاستسلم هواوا ملتمساً جلجامش بالعفو عنه وعدم قتله حينها ملئت العاطفة قلب جلجامش فيأمر صديقه انكيدو بتركه، ويبدو ان جلجامش اقدم على ترك هواوا لان الهدف

المنشود قد تحقق فالوصول إلى غابة الارز وتخليد أسمه كانت غايته الاسمى، لذا لم يكن مجبراً على قتل هواوا؛ كما ان رأفة جلجامش واستظهار عطفه على هواوا كان نابعاً من رؤية جلجامش لواقع الامر فالعائق والحاجز الذي كان يقف بينه وبين هدفه قد زال لذا لن يكون هناك ضرر ان ابقى على حياة هواوا فهو لم يعد يشكل خطراً عليه. وهو ما بينه النص الآتي:

"**ودفعه إلى جدار كأنه حيه مرفأ الخمر**
وربت على خده كما لو كان يضع قبله عليه"(٤٣).

أصطكت أسنان هواوا وأرتجفت يداه"(٤٤).

"**وأستحلف جلجامش بالسماء والارض والعالم السفلي**
وأخذه بيده وأنبطح على الارض تذللاً امامه
عندئذ رف قلب جلجامش الأميري له وقال لخادمه انكيدو
يا انكيدو دع الطير الحبيس يرجع إلى بيته"(٤٥).

على ما يبدو من النص اعلاه ان جلجامش أظهر حسن نيته اتجاه هواوا الذي توسل إليه من أجل أن يعفو عن حياته لكن الواضح بعد ذلك ان جلجامش غير رأيه بعد نصح انكيدو له بضروره قتل هواوا والتخلص منه لان الفرص هذه لا تتكرر ولو كانت النتيجة مغايرة ووقعوا بيد هواوا لعاقبهم اشد العقاب. كما مبين في النص الآتي:

"**فأجاب انكيدو جلجامش**
إن أطول الناس اذا لم يحسن التقدير
سيلتهمه القدر – القدر الذي لا يميز بين الناس
لو ذهب الطير الحبيس إلى بيته
وعاد الفارس الأسير إلى صدر أمه
فإنك لن تعود إلى مدينة أمك التي ولدتك
فقال هواوا لـــ انكيدو
أيها الرجل المستأجر أيها الجائع العطشان والخنوع
لم تحدثت إليه بالسوء عني
ولما نطق بهذا
قطع انكيدو من غضبه رأسه
ورماه في كيس تحمل باليد"(٤٦).

النص اعلاه يوضح اصرار انكيدو على قتل هواوا لاعتقاده بان تركه يعد خطئاً فادحاً لان هواوا يمثل مصدر خطر على حياتهم في حالة استجماع قواه لهذا لابد من القضاء على شر هواوا الذي مثل رمزاً للموت.

الاستنتاجات

١- يعد النتاج الادبي في العراق القديم مرآة عاكسة لواقع المجتمع وما يدور في مخيلته من قضايا مختلفة.

٢- تعالج الملحمة في طيات نصوصها مشكلة عامة متمثله بالخوف من الموت لا تتعلق بشخص جلجامش بل بكل شخصيات

الملحمة الأخرى كما انها شغلت الفكر الإنساني أجمع.

٣- تأثر الإنسان بالمحيط الخارجي من عوامل طبيعية وبشرية، وهذا الامر نلتمسه في ردة الفعل المفاجئة لجلجامش عندما شاهد جثث الموتى مما بعث فيه الفكر التأملي الذي كان نابعاً من فهمه لما يجري من حوله واستيعابه بصورة كاملة ومعرفة لموقعه على الصعيدين الكوني والاجتماعي من حيث النظر إلى الانسان لكونه الحلقه الضعيفه قياساً بما حوله.

٤- وضحت الملحمة السومرية في مضمونها ان جلجامش كان مدركاً أن الموت كان حقيقة حتمية قدرت من قبل الآلهة على البشر لهذا سعى إلى تخليد اسمه في ذاكرة المجتمع عن طريق القيام بعمل بطولي لم يسبقه فيه أحد.

٥- وضحت الملحمة صور أخرى للخوف متمثل بالخوف من الآلهة وأن الإنسان مهما بلغ من درجات القوة كان بحاجة إلى مساندة وتأييد الآلهة إليه.

٦- كما بينت الملحمة العلاقة الوطيدة والمتبادلة بين المجتمع والحاكم وخوف احدهما على الأخر، موضحة تقبل الحاكم النصح والمشورة من قبل ابناء مدينته.

٧- توضح الملحمة صورة اخرى لخوف الإنسان من شر المخلوقات الأخرى ومواجهتها.

هوامش الدراسة

(١) يوجد خمسة ملاحم سومرية الاصل كتبت بحق البطل جلجامش هي (جلجامش وارض الأحياء، جلجامش وانكيدو والعالم الأسفل أو (إينانا وشجرة الخلوبو)، جلجامش وأجا، جلجامش وثور السماء وملحمة موت جلجامش)، كانت تلك الملاحم منبع الالهام للكتبة البابليين الذين اطلقوا عنان مخيلتهم مستشفين منها روئاهم لكتابة اطول نص ملحمي ذات الاثنى عشر لوحاً عن شخصية عظيمة كان لها ثقلاً في مجتمع العراق القديم خاصة وبعداً تاريخياً في حضارات العالم القديم. للمزيد أنظر: كريمر، صموئيل نوح، **من ألواح سومر**، ترجمة، طه باقر، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، (القاهرة، ١٩٥٨).، ص ٣١٢؛ هوك، صمويل هنري، **الأساطير في بلاد ما بين النهرين**، سلسلة الكتب المترجمة، ترجمة، يوسف داود عبد القادر، المؤسسة العامة للصحافة والطباعة، (بغداد، ١٩٦٨).

(٢) لقد عرفت الحضارة العراقية القديمة نوعين من اللغات الأولى هي اللغة السومرية التي لا تنتمي إلى اي عائلة لغوية وانما تكون لوحدها عائلة لغوية مستقلة بذاتها، أما النوع الثاني فهي اللغة الاكدية بلهجتيها (البابلية والآشورية) والتي ينتمي متكلميها الى الاقوام الوافدة التي نزحت من منطقة شبة الجزيرة العربية والمعروفين بالاقوام السامية (الجزرية). للمزيد حول هذا الموضوع أنظر: سليمان، عامر، وآخرون، **المعجم الاكدي معجم اللغة الاكدية (البابلية - الأشورية) باللغة العربية والحرف العربي**، ج ١، منشورات المجمع العلمي، (بغداد ، ١٩٩٩)؛ سليمان، عامر، **الكتابة المسمارية**، (الموصل، ٢٠٠٠)؛ حنون، نائل، **دراسات في علم الآثار واللغات القديمة**، ج٢، (دمشق، ٢٠١١).

(3) **CDA**, p. 93;

الجبوري، علي ياسين، **قاموس اللغة الأكدية – العربية**، (أبو ظبي، ٢٠١٠)، ص ١٥٦.

(4) **CAD**, P, Vol. 12, p. 402.

(٥) الجبوري، **قاموس اللغة الأكدية – العربية**، ص ٢٩ – ٣٠.

(6) **CAD**, A, Vol. 1, p. 126.

(7) **CAD**, G, Vol. 5, p. 11–12.

(8) **CAD**, H, Vol. 6, p. 248.

(٩) الرازي، محمد بن عبد القادر (توفي، ٦٦٦ هـ)، مختار الصحاح، دار الكتاب العربي، (بيروت، ١٩٧٩)، ص ٣٣٨.

(١٠) طه، فرج عبد القادر، وأخرون، معجم علم النفس والتحليل النفسي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، (بيروت، ب – ت)، ص ١٩٠.

(١١) المصدر نفسه، ص ١٧٨.

(١٢) للمزيد أنظر: دافيدوف، لندا ل، مدخل علم النفس، ترجمة سيد الطواب محمود عمر، دار ماكجر وهيل للنشر، (القاهرة، ١٩٨٣)، ص ٤٩٦.

(١٣) كريمر، من ألواح سومر...، ص ٢٩٥.

(١٤) توجد هنا نقطة اختلاف بين النص السومري والبابلي، فالثاني يشير ان جلجامش بعد ان عجز عن نيل الخلود لسرقة عشبة الخلود من قبل الافعى تيقن من ان القيام بالاعمال خير وسيلة لتخليد الذكر لهذا عندما عاد إلى مدينة اوروك باشر ببناء سور المدينة، لكن الواضح في النص اعلاه نجد إن جلجامش قبل ان يباشر برحلته إلى غابات الارز كان قد بنى السور أو عمل على تجديده.

(١٥) كريمر، **من ألواح سومر...**، ص ٢٩٦.

(١٦) الحوراني، يوسف، **جماليات الحكمة في التراث الثقافي البابلي**، دار النهار للنشر، (بيروت، ١٩٩٤)، ص١٤.

(١٧) ديوي، جون، **الطبيعة البشرية والسلوك الإنساني**، ترجمة محمد لبيب النجيحي، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، (القاهرة، ١٩٦٣)، ص ١٢٩.

(١٨) لقد أوضحت الأساطير العراقية القديمة المتعلق بالخليقة وتنظيم الكون إن الآلهة عندما عمدت إلى خلق الإنسان اوكلت إليه مهمة العمل والشقاء وعبادتها وقدرت الموت له وأستأثرت بالخلود لنفسها. للمزيد حول أساطير الخلق في الحضارة العراقية القديمة أنظر: يحيى، اسامة عدنان، **عصر الآلهة دراسة في أساطير وادي الرافدين**، (بغداد، ٢٠٠٩).

(١٩) سيدا، عبد الباسط، **من الوعي الأسطوري إلى بدايات التفكير الفلسفي النظري (بلاد ما بين النهرين)**، دار الحصاد للنشر والتوزيع، (دمشق ١٩٩٥)، ص ٢١٤.

(٢٠) المقصود هنا غابة الأرز الموجودة في جبال لبنان التي تميزت اشجارها باجواد انواع الاخشاب في العالم، كما عرفت باسم أرز بشرى لوجودها في هذه المنطقة مع وجود انواع اخى تنتشر في مناطق اخرى تعرف باسماء مختلفة منها(أرز الحدث وأرز تنورين وأرز الباروك. للمزيد أنظر: أبو العينين، حسن سيد احمد، **لبنان دراسة في الجغرافية الطبيعية**، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، (بيروت، ١٩٨٠)، ص ٦٣٣.

(٢١) يعد أنكيدو وفق النصوص الادبية رفيق الدرب والخادم والتابع الامين لجلجامش، وعلى ما يبدو من فحوى تلك النصوص انه يمثل انعكاساً لواقع المجتمع السامي الذي وفد إلى أرض العراق القديم بعد تغير الظروف المناخية في شبه الجزيرة العربية موطنة الأصلي الذين عاشوا جنباً إلى

جنب السومريون سكان العراق الأصليين. للمزيد أنظر: الأحمد، سامي سعيد، **كلكامش**، دار الشؤون الثقافية العامة، (بغداد،١٩٩٠)، ص ٤٧.

(٢٢) كريمر، صموئيل نوح، **السومريون أحوالهم – عاداتهم – تقاليدهم**، ترجمة فيصل الوائلي، (الكويت، ١٩٧٣)، ص ٢٦٧.

(٢٣) للمزيد حول صراع الإنسان أنظر: جمعه، احمد بشار، **فكرة الصراع في الأساطير والملاحم العراقية القديمة (٣٠٠٠-٢٠٠٠ ق.م)**، رسالة ماجستير غير منشورة، (جامعة واسط – كلية التربية للعلوم الإنسانية – قسم التاريخ، ٢٠١١).

(٢٤) أبو زيد، محمود، **الإنسان والكون وميثولوجيا الشرق الأدنى القديم**، دار غريب للطباعة والنشر، (القاهرة، ٢٠١٠)، ص ٢٠٥.

(٢٥) الحوراني، **جماليات الحكمة...**، ص ٦٨.

(٢٦) كان الإنسان العراقي القديم ينظر لنفسه على أساس انه جزء من منظومة كونية أكبر وأعلى منه تتمركز في السماء خاصة بعالم الآلهة هذه الآلهة خلقته ووكلت إليه مهمة ادارة شؤون ممتلكاتها في الأرض. للمزيد أنظر: جاكوبسن، ثوركيلد، وآخرون، أرض الرافدين، ضمن كتاب (**ما قبل الفلسفة الإنسان في مغامراته الفكرية الأولى**)، ترجمة، جبرا إبراهيم جبرا، ط ٢، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، (بيروت، ١٩٨٠).

(٢٧) أبو زيد، **الإنسان والكون وميثولوجيا...**، ص ٢٠٨.

(٢٨) أوتو (Utu) هو الاسم السومري للإلهة الشمس عند السومريين، ويعرف عند الاكديين باسم (šamaš) ابن الإله القمر ننا (سين) وهو إله العدالة في العراق القديم. للمزيد حول الآلهة في العراق القديم آنظر:

Black, Jeremy. and . Green, Anthony, **Gods, Demons and Symbols of Ancient Mesopotamia An Illustrated Dictionary**, University of Texas, Press Austin, Published by The British Museum Press, (London, 2003-2004), p. 35.

(٢٩) كريمر، **من ألواح سومر...**، ص ٢٩٥.

(٣٠) الوركاء (أوروك) وهي واحدة من اقدم المدن السومرية التي يرجع اقدم استيطان فيها إلى الالف الخامس قبل الميلاد تتكون من قسمين أي – أنا وكُلاب وهي مركز عبادة الإله آن والآلهة إينانا، تقع اطلالها بالقرب من مدينة السماوة. للمزيد أنظر: صالح، قحطان رشيد، **الكشاف الاثري في العراق**،

مكتبة دار الكتب للطباعة والنشر، (بغداد، ١٩٨٧)، ص ٢٤٥-٢٤٦.

(٣١) كريمر، **من ألواح سومر...**، ص ٢٩٦.

(٣٢) نتيجة لتعرض نص الملحمة السومرية إلى تلف مما يصعب للقارئ فهم سير بعض أجزاء الملحمة اللاحقة أرتئينا الاعتماد على الترجمة الحديثة للنص البابلي لملحمة جلجامش؛ إذ إن نصوص الملاحم السومرية العائدة لجلجامش كانت المنبع الاساس الذي استسقى منه الكتبة البابليون مادتهم الرئيسة لكتابة اروع ملحمة شعرية في العالم القديم، لهذا حاولنا في هذا البحث التركيز على احدى الملاحم السومرية المعنونة باسم (جلجامش وارض الأحياء) والتي يقابلها في النص البابلي اللوح الثاني والثالث والرابع والخامس. للمزيد أنظر: علي، فاضل عبد الواحد، ملحمة جلجامش، **(مجلة عالم الفكر)**، ج ١٦، ع ١، (الكويت، ١٩٨٥).

(٣٣) حنون، نائل، **ملحمة جلجامش ترجمة النص المسماري مع قصة موت جلجامش والتحليل اللغوي للنص الاكدي**، (دمشق، ٢٠٠٦)، ص ١١٣.

(٣٤) الحوراني، **جماليات الحكمة...**، ص ٦٨.

(٣٥) كريمر، **من ألواح سومر...**، ص ٢٩٦.

(٣٦) كريمر، **السومريون...**، ص ٢٦٩-٢٧٠.

(٣٧) أبو زيد، **الإنسان والكون وميثولوجيا...**، ص ٢٠٥.

(٣٨) يعد لوجال بندا وفق جدول اثبات الملوك السومريين الحكام الثالث لمدينة الوركاء بعد الطوفان حكم ١٢٠٠ عام، في حين يذكر جدول اثبات الملوك السومريين ان جلجامش خامس الحكام للمدينة ووالده هو(لُلا). للمزيد أنظر: باقر، طه، **مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة (الوجيز في تاريخ حضارة وادي الرافدين)**، ط٢، ج١، دار الوراق للنشر المحدودة، (بغداد، ٢٠١٢)، ص ٣٢٢.

(٣٩) كريمر، **من ألواح سومر...**، ص ٢٩٩.

(٤٠) كريمر، **السومريون...**، ص ٢٧٢.

(٤١) كريمر، **من ألواح سومر...**، ص ٢٩٩-٣٠٠.

(٤٢) كريمر، **السومريون...**، ص ٢٧٣-٢٧٤.

(٤٣) **المصدر نفسه**، ص ٢٧٣-٢٧٤.

(٤٤) كريمر، **من الواح سومر...**، ص ٣٠٠.

(٤٥) كريمر، **السومريون...**، ص ٢٧٥.

(٤٦) **المصدر نفسه**، ص ٢٧٦.

قائمة المصادر

أولاً: المصادر باللغة العربية

١. أبو العينين، حسن سيد احمد، **لبنان دراسة في الجغرافية الطبيعية**، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، (بيروت، ١٩٨٠).

٢. أبو زيد، محمود، **الإنسان والكون وميثولوجيا الشرق الأدنى القديم**، دار غريب للطباعة والنشر، (القاهرة، ٢٠١٠).

٣. الأحمد، سامي سعيد، **كلكامش**، دار الشؤون الثقافية العامة، (بغداد،١٩٩٠).

٤. باقر، طه، **مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة (الوجيز في تاريخ حضارة وادي الرافدين)**، ط٢، ج١، دار الوراق للنشر المحدودة، (بغداد، ٢٠١٢)

٥. جاكوبسن، ثوركيلد، وآخرون، أرض الرافدين، ضمن كتاب (**ما قبل الفلسفة الإنسان في مغامراته الفكرية الأولى**)، ترجمة، جبرا إبراهيم جبرا، ط ٢، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، (بيروت، ١٩٨٠).

٦. الجبوري، علي ياسين، **قاموس اللغة الأكدية – العربية**، (أبو ظبي، ٢٠١٠).

٧. جمعه، احمد بشار، **فكرة الصراع في الأساطير والملاحم العراقية القديمة (٣٠٠٠-٢٠٠٠ ق.م)**، رسالة ماجستير غير منشورة، (جامعة واسط – كلية التربية للعلوم الإنسانية – قسم التاريخ، ٢٠١١).

٨. حنون، نائل، **دراسات في علم الآثار واللغات القديمة**، ج٢، (دمشق، ٢٠١١).

٩. حنون، نائل، **ملحمة جلجامش ترجمة النص المسماري مع قصة موت جلجامش والتحليل اللغوي للنص الأكدي**، دار الخريف للنشر والتوزيع، (دمشق، ٢٠٠٦).

١٠. الحوراني، يوسف، **جماليات الحكمة في التراث الثقافي البابلي**، دار النهار للنشر، (بيروت، ١٩٩٤).

١١. دافيدوف، لندا ل، **مدخل علم النفس**، ترجمة سيد الطواب محمود عمر، دار ماكجر وهيل للنشر، (القاهرة، ١٩٨٣).

١٢. ديوي، جون، **الطبيعة البشرية والسلوك الإنساني**، ترجمة محمد لبيب

النجيحي، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، (القاهرة، ١٩٦٣).

١٣. الرازي، محمد بن عبد القادر (توفي، ٦٦٦ هـ)، **مختار الصحاح**، دار الكتاب العربي، (بيروت، ١٩٧٩).

١٤. سليمان، عامر، **الكتابة المسمارية**، (الموصل، ٢٠٠٠).

١٥. سليمان، عامر، وآخرون، **المعجم الاكدي معجم اللغة الاكدية (البابلية ـ الأشورية) باللغة العربية والحرف العربي**، ج ١، منشورات المجمع العلمي، (بغداد ، ١٩٩٩).

١٦. سيدا، عبد الباسط، **من الوعي الأسطوري إلى بدايات التفكير الفلسفي النظري (بلاد ما بين النهرين)**، دار الحصاد للنشر والتوزيع، (دمشق ١٩٩٥).

١٧. صالح، قحطان رشيد، **الكشاف الاثري في العراق**، مكتبة دار الكتب للطباعة والنشر، (بغداد، ١٩٨٧).

١٨. طه، فرج عبد القادر، وأخرون، **معجم علم النفس والتحليل النفسي**، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، (بيروت، ب – ت).

١٩. علي، فاضل عبد الواحد، ملحمة جلجامش، **(مجلة عالم الفكر)**، ج ١٦، ع ١، (الكويت، ١٩٨٥).

٢٠. كريمر، صموئيل نوح، **من ألواح سومر**، ترجمة، طه باقر، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، (القاهرة، ١٩٥٨).

٢١. كريمر، صموئيل نوح، **السومريون أحوالهم – عاداتهم – تقاليدهم**، ترجمة فيصل الوائلي، (الكويت، ١٩٧٣).

٢٢. هوك، صمويل هنري، **الأساطير في بلاد ما بين النهرين**، سلسلة الكتب المترجمة، ترجمة، يوسف داود عبد القادر، المؤسسة العامة للصحافة والطباعة، (بغداد، ١٩٦٨).

٢٣. يحيى، اسامة عدنان، **عصر الآلهة دراسة في أساطير وادي الرافدين**، (بغداد، ٢٠٠٩).

ثانياً: المصادر باللغة الأنكليزية.

1- Biggs, Robert D., and Others, **The Assyrian Dictionary of the Oriental Institute of the University of Chicago** , Vol. 12, (Chicago, 2005), **CAD**.

Gelb, Ignace J., and Others, **The Assyrian Dictionary of the Oriental Institute of the University of Chicago** , Vol. 1, Part. I, (Chicago, 1964), **CAD**.

2- Black, Jeremy. and Green, Anthony, **Gods, Demons and Symbols of Ancient Mesopotamia An Illustrated Dictionary**, University of Texas, Press Austin, Published by The British Museum Press, (London, 2003-2004).

3- Black, Jeremy, Andrew George, Nicholas Postgate, **A Concise Dictionary of Akkadian, printing 2**, (Wiesbaden, 2000), **CDA**.

4- Gelb, Ignace J., and Others, **The Assyrian Dictionary of the Oriental Institute of the University of Chicago** , Vol. 5, Part. I, (Chicago, 1956), **CAD**.

5- Gelb, Ignace J., and Others, **The Assyrian Dictionary of the Oriental Institute of the University of Chicago** , Vol. 6, Part. I, (Chicago, 1956), **CAD**.